ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:06العدد: 03(2021) ص 323-330

أسس الإبداع الشعري وبواعثه في كتاب "جواهر الآداب وذخائرُ الشعراءِ والكتاب" لابن السراج الأندلسي

The foundations of poetic creativity and its motives in a book "Djawahir A'l Adaab wa dhakha'er A'shoara wa El'koutab" For Ibn Sarraj Andalusian

فريدة مقلاتي

جامعة خنشلة (الجزائر)

meguellati.farida@univ-khenchela.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
23 افريل 2021

تاريخ القبول:
25 ماي 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ إبداع
- ✓ أسس
- ✓ الشعر

الملخص:

يعد الإبداع عملية معقدة، وهذا ما أدى إلى اختلاف التصورات النقدية حولها؛ إذ كل ناقد ينطلق من زاوية معينة تناسب قناعاته وملاحظاته، محاولا تحديد الأسس والبواعث التي تتضافر في بناء العمل الإبداعي، فكل هذه القوى لها فاعلية كبيرة في إبداع العمل الشعري، وقد طرح"ابن السراج" بدوره هذه القضية في "جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب" إذ حاول صياغة تصورات فاعلة تنم عن إدراك عميق منه لغموض هذه العملية. وقد أقر بوجود أسس فطرية وأخرى مكتسبة تسهم في بناء العمل الشعري. كما أقر بوجود بواعث زمانية ومكانية ونفسية تعمل على استدعاء أحسن الشعر.

Article info

Received
23 April 2021
Accepted
25 May 2021

Keywords:
- ✓ *creativity*
- ✓ *foundations*
- ✓ *poetry*

Abstract :

Creativity is considered as a complex process, and this is the why its critical perceptions differ. As each critic sees it from a certain angle that, suits his convictions and observations, in an attempt to identify the foundations and motives that are combined to build a creative work. .All these aspects have a huge effect on the creativity of the poetic work.Ibn al- Sarraj, in turn, raised this issue in "Djawahir A'l Adaab wa dhakha'er A'shoara wa El'koutab" He acknowledged the existence of innate and acquired foundations and the existence of temporal, spatial and psychological motives that work to summon the best poetry .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1- مقدمة:

إن الإبداع عملية معقدة وغامضة، ولهذا أرجع العرب قديما مصدرها إلى«قوى علوية أو كائنات خرافية تتجاوز قدراتها قدرات البشر العاديين»[1]، وقد تجلت هذه الفكرة بشكل واضح في قضية "شياطين الشعر"، فهم «يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر»[2]، ويرى "غنيمي هلال" أنه لم يكن يقصد بالشياطين سوى الروح الملهمة، فكان الشيطان هو الجني، أي الروح الخفية، وهو مصدر العبقرية نسبة إلى عبقر - وهو واد يسكنه الجن - ومعروف أن من العرب من كانوا يعبدون الجن ويجعلونهم شركاء لله جل جلاله، والجن بهذا المعنى مرادفة للشياطين خيره أم شره، ثم اكتسبت لفظة الشياطين معنى أرواح الشر بعد ذلك، وبخاصة بعد استقرار الإسلام[3]، وربما هذه التصورات تعود إلى جهلهم بطبيعة وماهية هذه العملية الخفية، ولكن النقاد القدماء حاولوا مقاربة طبيعة العملية الإبداعية لكشف كنهها، فعمدوا إلى تحديد بعض الأسس التي تسهم في الإبداع فقرروا بذلك أسسا مكتسبة وأخرى يولد بها الإنسان(=الموهبة).

كما عمدوا إلى تحديد بعض البواعث المساعدة على الإبداع الشعري، ولكن دائما حسب تصوراتهم النقدية وطبيعة حقبتهم، ومهما كانت قيمة نظراتهم النقدية فإنهم قد أيقنوا أن الإبداع يحتاج إلى الطاقة الفطرية، و يحتاج أيضا إلى الصنعة التي تعد قدرة مكتسبة، لتصبغ الإبداع الشعري بالصبغة الفنية، وتحقق له التميز والتفرد، وهذا الأخير لا يتحقق أيضا إلا بالبحث عن«علاقات ومتعلقات ووظائف جديدة ثم إبداء الصيغة الصالحة لتجسيم هذه العلاقات ولإبراز هذه الوظائف»[4]. وبذلك فالإبداع هو صياغة أي ثيمة وفق تقانات جديدة تكشف جمالياته، وتجاوزاته لكل ما هو مألوف ونمطي[5] ، ولكن على الرغم من ذلك تبقى عملية الإبداع معقدة، وقد طرح "ابن السراج" بدوره هذه القضية في كتابه الموسوم بـ: **"جواهر الآداب وذخائرُ الشعراءِ والكتاب"**. فما هي أهم الأسس التي يمكن أن تسهم في بناء العملية الإبداعية وبخاصة الإبداع الشعري؟ وما هي أهم البواعث المساعدة على بعث القريحة وتنشيطها وتسهيل عملية الإبداع الشعري حسب تصور ابن السراج ؟

وستسعى هذه الدراسة إلى كشف ومقاربة تصورات "ابن السراج" فيما يخص العملية الإبداعية، وتحديد أهم الأسس والبواعث التي تسهم في تحقيق الإبداع. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي لتقريب تصور "ابن السراج" وتفسيره وتبيان قيمة نظراته النقدية التي تعكس وعيه بالإشكالات النقدية المرتبطة بالإبداع الشعري بخاصة.

2- حد الإبداع عند "ابن السراج":

عرف "ابن السراج" (ت 543هـ) الإبداع بقوله: «الإبداع هو الاختراع، وقد خص بعضهم الاختراع بالمعاني والإبداع بالألفاظ، وإن كان معناهما في اللغة واحدا فإن اتفق أن يجتمع الاختراع والإبداع كان آخذا بمجامع القلوب والأسماع»[6] .

نعاين من خلال هذا النص النقدي أن "ابن السراج" حدد الإبداع بمعنى الاختراع؛ أي الإتيان بالجديد الذي يحتاج إلى تأمل وتدبر لفهمه، فهو ليس من الأمور المتداولة، بل لابد أن يتميز المعنى بالجدة ودقة الصياغة، وقد عرف المخترع بقوله: « هو ما لم يُسْبَقْ إليه صاحبه»[7]، وقد مثَّل بقول امرئ القيس:

سموتُ إليها بعد ما نام أَهْلُهَا ** سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ حالا على حال

ويرى أن المحدثين « أكثر الشعراء اختراعا وأوسعهم تصرفا وابتداعا والسبب في ذلك كثرة المعلومات لتجدد الحوادث مع الأوقات»[8].

كما أوضح أيضا أن بعض النقاد خصوا الاختراع بالمعاني والإبداع بالألفاظ؛ أي الشكل والصورة إلا أن هناك من يرى أن «مثل هذا التحديد الذي يحصر الإبداع في اللفظ، والاختراع في المعنى، ويقصر الأخير على الشهرة والأولية دون الطرافة والإبهار يحرك شيئا في الصدور»[9] ، وهذا يعني أن الشاعر قد يخترع معنى، ولكنه قد يخلو من الإبهار والطرافة واللغة الشاعرة، فهناك أشعار أشبه بالتصوير الآلي وأقرب إلى العمليات الحسابية التي تقوم على البراعة العقلية، وهي براعة تختفي منها القريحة، كقول امرئ القيس:

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ** لدى وكرها العناب والحشف البالي

فالمتأمل في هذا القول الشعري يجد الطير المتناثرة أمام وكرها ما بين رطب ويابس في مقابل العناب والحشف البالي، فهذا التقرير لا يكشف عن رؤية أو يبين عن موقف فني.[10] ولكن ابن السراج بيّن أن التشاكل والتعالق بينهما - الاختراع والإبداع- يخرج عملا إبداعيا ينم عن حذاقة المبدع، ويعمل في الوقت نفسه على أسر القلوب وذلك لقدرته على سبر أغوار الإحساس لدى المتلقي.

3-أسس الإبداع:

طرح "ابن السراج" في كتابه "جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب" قضية الإبداع؛ لأنه كان على وعي تام أن العمل الإبداعي بعامة والإبداع الشعري بخاصة لا يمكن أن يكون من إبداع ذات المبدع وحدها، ولا من إبداع العوامل الخارجية، بل تسهم هذه الأخيرة، ولكن بتفاعلها مع ذات المبدع، فالإبداع يحمل بصمة الشاعر، وبذلك ينقل إلينا فكره وعواطفه وخيالاته على نحو متميز؛ أي عبر لغة خاصة تمتاز بالابتكار والإدهاش.[11] وبذلك فالعملية الإبداعية عنده تسهم في بلورتها عوامل خارجية وأخرى ذاتية لها علاقة بالمبدع، ويمكن أن نسميها بأسس الإبداع، ويمكن أن نقسمها إلى قسمين، أسس فطرية، وأخرى مكتسبة.

وتتجلى الأسس الفطرية في الموهبة، والمتمثلة في قوة الطبع، وقد أشاد "ابن السراج" (ت 543هـ) بهذه القوة، وجعلها الأصل الذي ينبع عنه الشعر، إذ يرى أن المطبوع هو الأصل الموضوع الذي عليه المدار، وبه الاقتدار؛ لأن العرب لم تكن تنظر في أعطاف كلامها، ولا تلتزم البديع في ...نظامها، بل كانت تعتمد في بلاغتها على طبعها وفصاحتها..[12].

فالطبع حسب تصور الناقد هو ما يجري عليه القول الشعري غالبا، فهو يزود صاحبه بقدرة كبيرة تمكنه من القول وتعينه على التأليف، فالمبدع « لا يعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة »،[13] وبذلك فهو عنصر –الطبع- مهم، وثابت في العملية الإبداعية، ولا يمكن أن يخلو منه القول الشعري، فهو يحيطه برونق الماء، وعليه فالموهبة(=الطبع) تساعد الشاعر على تحقيق الاستواء والكمال في الخطاب الشعري، ولكن هذا لا يعني أن "ابن السراج" ينكر دور الصنعة في نظم القول الشعري، بل يرى أن العرب «ربما بدر منها المصنوع سليما من التكلف يُغني عن التعسف فيحسن في النفوس موقعه ويشرف به مكانه وموضعه؛ لأنه يأتي في أضعاف القصائد بمنزلة الفرائد في القلائد»[14] وهذا يعني أن القول الشعري لابد يجمع بين الطبع والصنعة، ولكن دون تكلف، فهذا يجد موقعا في نفس المتلقي، وقبولا حسنا، فالصنعة المعتدلة تحقق له التفرد والتميز .

كما عد الحواس من الأسس الفطرية التي يولد الإنسان وهو مزود بها؛ لذلك ما يدرك بالحواس حسب تصوره ضروري؛ لأن كل ما تقع عليه الحاسة أوضح مما لا تقع عليه، والشاهد أوضح من الغائب، والقريب أوضح من البعيد[15]، وهذا يعني أن الحواس لها أهمية في عملية الإبداع، فالإنسان إذا فقد حاسة من الحواس يتعذر عليه تخيل المحسوسات فكل فرد إذا فَقَدَ حاسة البصر لا يمكنه أن يتخيل الألوان، وإذا فقد حاسة السمع لا يمكن أن يتخيل الأصوات، ولا يتوهمها؛ لأن التخيل للأشياء تابع للإدراك الحسي.[16] لذلك ربط النقاد جودة الصورة بإخراج الأغمض إلى الأوضح، وهذا ما يتجلى في الاستعارة والتشبيه، فهما « يخرجان الأغمض إلى الأوضح ويقربان البعيد... »[17].

وبذلك فابن السراج قد تنبه لأهمية هذه الحواس التي يولد الفرد وهو مزود بها، فإذا كانت سليمة تمكن المبدع من إدراك كل ما يحيط به، وهذا يساعده في عملية التصوير الفني؛ أي أن الشاعر لا يبتعد عن الحقيقة في تصويره؛ إذ يقول أيضا: « كلما كانت الاستعارة أقرب إلى الحقيقة كانت أحسن كقول امرئ القيس:

وقد أغتـدي والطـير في وُكناتها بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل

لما كان الفرس مانعا لها من التقدم بسبقه إياها جعله بمنزلة القيد المانع من التصرف وكلما بعدت الاستعارة عن الحقيقة قبُحت...ومن قبيح الاستعارة قول بشار بن برد:

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وجذَّت رقابَ الوَصل أسيافُ هَجرهَا وَقدَّت لرجل البَينِ نعلينِ من خدّي

فجعل للوصل رقابا وللبين رجلا وهذا بعيد جدا»[18].وبذلك فالأشياء التي تدرك هي الأقرب إلى الحقيقة؛ إذ يرى "ابن رشيق " أن جل العلماء يستحسنون الاستعارة القريبة، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه، ويليق به كان أفضل وأولى مما ليس منه في شيء.[19]

كما تنبه "ابن السراج" إلى أن الإبداع لا يمكن أن يستقيم بالأسس الفطرية فقط، بل لابد له من أسس أخرى مكتسبة؛ ومن بين هذه الأسس المكتسبة التي تسهم في عملية الإبداع حسب تصوره نجد الدربة والمران وبخاصة أن النقاد السابقين قد عدوهما من أسس الخلق والإبداع ، وقد تجلى هذا تصور عنده حينما تحدث عن البلاغة؛ إذ يقول: « وليس شيء أنفع في البلاغة بعد تحصيل أدواتها من حفظ كلام البلغاء وتناسيه حتى لا يبقى منه إلا معان متوهمة وألفاظ مُبددة فإذا رام تأليفها قامت منه صور أُخَرُ»[20].

وهذا يعني أن الشاعر بالإضافة إلى طبعه وموهبته لابد له من الدربة والتمرس بأدوات البلاغة حتى ينمي موهبته الشعرية؛ لأن الموهبة لا تُصقل إلا بالدربة والمران، فهذا يقوي الملكة الإبداعية فيتجلى بذلك الحذق والمهارة في صنعة المبدع، وهذا يحقق له التميز والتفرد عن غيره من المبدعين، وعلى المبدع أيضا حسب تصوره أن ينظر «في أنحاء كلام البلغاء ومذاهب المتأخرين من فحول الشعراء كالحسن وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وعبد الله بن المعتز والمتنبي وتتعرف ما اخترعوه وولدوه من مليح المعاني ونقف على ما أحدثوه من بديع التركيب والمباني»[21]. وهذا يبين أن "ابن سراج" قد أقر أن العمل الإبداعي نشاط إنساني واع، فهو ليس من وحي قوي خفية، إنما الإبداع عنده يرتبط بمؤهلات مكتسبة لا يجب أن يحيدا عنها المبدع فهي التي تقوي عضده، وتجعل ملكته الفنية قوية، وبالتالي أعماله الإبداعية متميزة.

كما أن هذا المران، والدربة تزود المبدع بخلفيات فكرية، وفنية، وتمكنه من حسن الصياغة، والقدرة على تحقيق المشاكلة بين الألفاظ والمعاني لتحقيق الجودة؛ وجودة المعاني والألفاظ تكون من جهة صلتها بالأغراض الشعرية وتجلى ذلك في قوله: « ...فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا وأكثر فيه من ذكر الصبابة وقلق الأشواق، وإن أخذت في مدح فأشهر مناقب الممدوح وإياك أن تشين بشعرك بالألفاظ الزَّرِيَّةِ وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ...»[22] . بين من خلال هذا النص النقدي أن لكل غرض ما يليق به من ناحية المعاني، والألفاظ فمثلا النسيب نصح الشاعر أن يستعمل اللفظ الرقيق ويكثر من إظهار الشوق .

كما بين عيوب الألفاظ بقوله: « فمنها اللحن، ومنها ترك الأفصح، ومنها التعقيد باستعمال الحوشي، وارتكاب الغامض الخفي...ومنها التخميع...ومنها تكرير الكلمات...»[23] ، وبهذا فالصورة لا تكون واضحة الرؤية إلى من خلال عنايتها باللفظ لذلك حدد بعض العيوب وحذر منها؛ لأن الجمال لا يتحقق في اللغة الشعرية إلا باختيار الألفاظ؛ لأنها الحبل الواصل بين النص والمتلقي ؛ ولأنه كان حريصا على حسن العلاقة بين النص والمتلقي حذر من التعقيد الذي ربما يعمد إليه الشاعر بغية إظهار مقدرته على التصرف على الرغم منه استثنى المضطر إلى ذلك؛ إذ يقول: « والأولى بالشاعر المجيد أن يتجنب كل ما اعتذر منه؛ فقد قيل: شر الشعر ما سُئل عن معناه وأجتنبه ما لم يكن لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك وكذلك ينبغي أن يتجنب في أفعاله كل ما يدعو إلى خلافة ويذم به غيره».[24]

وبذلك فالأسس المكتسبة تصقل الموهبة الفطرية وتنميها، وتوجهها نحو الوجهة الصحيحة، فهي التي تمكن المبدع من معرفة التقانات الضرورية لإقامة العمل الإبداع، وتحقيق استقامته، وكماله من ناحية المضمون والشكل.

4-بواعث الإبداع:

تنبه النقاد القدماء إلى وجود بواعث تساعد الشاعر على نظم الشعر، وهذا ما أقره "ابن رشيق" (456هـ)بقوله: « إن للناس ... ضروبا مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشحذ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى، كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عادته »[25]. وقد أقر "ابن السراج" بدوره بوجود بواعث نفسية، وقد تجلت عنده في بعض العواطف التي يمكن أن تسهم في بعث

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الإبداع، و«هي الرَّغبة والرهبة والطرب والغضب فعلى قدر الرغبة يكون المدح والثَّناء وعلى قدر الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف وعلى قدر الطرب يكون الشوق والنَّسبَ والرثاء والتأبين وعلى قدر الغضب يكون العتاب والإزراء والوعيد والهجاء ومدار ذلك كله على جودة القريحة وحسن البديهية وكمال الروية »[26].

ونعاين من خلال هذا النص النقدي أن البواعث النفسية لها دور كبير في العملية الشعرية، وبخاصة أن الشعر وميض تلقائي لأحاسيس ومشاعر قوية يتخذ الشاعر أصولها من العواطف الخفية، وهذه العواطف تحدث عنها من قبل ابن قتيبة(276هـ)؛ إذ يقول: « وللشعر دواع تحثُّ البطيء وتبعث المتكلف ومنها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب »[27]، وهذا ما أشار إليه الشاعر "دعبل بن علي الخزاعي"؛ إذ يقول: « من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق، والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء ».[28]

وبذلك فهذه العواطف الداخلية حسب "ابن السراج" لا تدفع الشاعر إلى نظم الشعر فحسب، بل تعد من أسباب الإجادة والإحسان؛ لأنها بمثابة المحرك الداخلي الذي يساعد المبدع ويعطي له الدفق الشعوري الذي يصبغ عمله بمسحة عالية من الإحساس ويحقق له التجاوب مع المتلقي.

كما تحدث النقاد عن بواعث زمانية يستعان بها على إبداع الشعر ، وتجلت في تخير الوقت المناسب الذي من شأنه أن يسهم بشكل كبير في استدعاء الشعر، ومنه وقت السحر، وهذا ما أقر به "ابن رشيق"، بقوله: «مباكرة العمل بالأسحار...لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيبها، وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى، ولأن السحر ألطف هواءً وأرق نسيما... »[29]، و"ابن السراج" بدوره تحدث عن هذه البواعث الزمانية، وبخاصة أنه من المتأثرين بابن رشيق؛ إذ نقل عنه بعض الآراء النقدية، وقد تجلى ذلك من خلال إيراده لوصية أبي تمام للبحتري؛ إذ يقول فيها: «يا أبا عُبادةَ تخير الأوقات وأنت قليل الهموم واعلم أن أولى الأوقات بعمله وقت السحر، لأن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم...».[30] أورد "ابن السراج" هذه الوصية ليعكس من خلالها أحسن الأوقات لاستدعاء الشعر، وقد تحدد في وقت السحر؛ لأن النفس تكون مرتاحة وقليلة الانشغال، وهذا يحقق نوعا من الصفاء الذهني، ويعطي قوة لإبداع الشعر، فالمبدع في هذا الوقت يتمتع بالتوازن النفسي والعقلي، وهذا يفتح له مجال التركيز والقدرة على الإبداع، وإخراج أحاسيسه من حالة الكمون إلى حالة الظهور والتجلي.

كما أنه لم يكتف بتبيان أحسن الأوقات للإبداع، بل تعدى إلى محاولة تذليل بعض الصعوبات التي قد تصادف المبدع منها: "الضجر"، إذ يقول: «وإذا عارضك الضجر فَارْجِ لِقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإن الشهوة نعم المعين وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضيين فما استحسنه العلماء فلقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله [31]».

نستشف من هذا النص أن "ابن السراج" قدم حلا للشاعر إذا أحس بالضجر، إذ نصحه بجعل شهوته لعمل الشعر، ذريعة لحسن نظمه، وبذلك فالشهوة من الميكانيزمات التي يمكن أن يستعين بها الشاعر لتحقيق الاستواء والكمال في قوله الشعري. كما نصحه بإتباع نمط ما سلف من شعر الماضين، فما استحسنه العلماء أخذ به، وما استهجنوه تركه، وقد أورد أبياتا لأبي العباس الناشئ، بين من خلالها بعض التقانات الواجب مراعاتها في الإبداع الشعري، إذ يقول الناشئ:[32]

إنَّمَا الشِّعْر ما تناسب في النظـ ـمِ وإن كان في الصفـــات فنونـا

فأتى بعضه يُشاكـتل بعضـــا قد أقامت له الصدورُ المتونا

فكأن الألفـاظ منه وجـوهٌ والمعـــاني رُكبنَ فيـه عُيُونا

فإذا مـــدحت بالشعـــرحُرا رُمت فيـــه مذاهب المُسهبينا

...

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أورد ابن السراج هذه الأبيات؛ لأنها جمعت كل الشروط الواجب توفرها في العمل الشعري، وكذلك أهم التقانات التي لابد أن يتبعها ويطبقاها ليصل إلى صياغة خطاب شعري متكامل ومتناسق من حيث الصورة والمضمون.

كما نظر "ابن السراج" إلى الطبيعة وعدها من البواعث المكانية التي يمكن أن تسهم في استدعاء الشعر؛ إذ يقول: « وقيل: ما استدعي شاردُ الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي والنشاط المتوالي »[33]، فابن السراج قد أدرك دور الطبيعة في بعث شهوة قول الشعر، فقد «روي أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خاليا منفردا وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن... الخالية فيعطيه الكلام قيادة»[34].

وهذا يعني أن الطبيعة من البواعث المكانية التي تسهم في شحذ القريحة، ومساعدتها على نظم الشعر الذي يصل إلى القلوب، فالطبيعة تبهج البصر والبصيرة معا، وتجذب المبدع وتحدث نوعا من التفاعل بينه وبين الخارج (=الطبيعة) وهذا التفاعل يقوده إلى الإبداع ما دامت الموهبة المتوفرة، وبذلك فكل هذه الدواعي والبواعث من شأنها أن تساعد الشاعر على التركيز، واشتغال الفكر والإحساس وبذلك استدعاء أحسن الشعر. ولكن "ابن السراج" عاد ونصح الشاعر إذا أحس «من نفسه مَلَلاً وفتوراً أو أعجله أمر فخاف به تقصيراً أن يتأيَّدَ، ولا يعجل ويتأنى ولا يسترسل وإلا جاء شعره في غير متناسب».[35]

فالشاعر إذا أحست نفسه بالملل والفتور عليه أن يتقوى، ويتأنى؛ لأن عمله الشعري مستمد من تجربته ومن مزاجه الخاص، وهذا له تأثير على لغته الفنية الخاصة، وبذلك فجماليات العمل الإبداعي تعتمد على براعة الصياغة واختيار المعنى المناسب، فإذا حدث خلل في هذه الأسباب جاء شعره في غير متناسب.

وبذلك فإن و"ابن سراج" قد اتفق مع النقاد السابقين المشارقة والمغاربة على وجود بواعث ودواع تساعد المبدع، وبخاصة الشاعر على الإبداع والتركيز؛ إذ نجد "بشير بن المعتمر" قد تعرض في صفيحته لقضية دواعي الشعر، وبواعثه النفسية. كما نجد أيضا ابن قتيبة الذي تحدث عن بواعث زمانية يمكن لها أن تشحذ قريحة المبدع وتفتح المجال أمامه للإبداع.

5. خاتمة:

ونستخلص مما سبق أن النقاد القدماء كانوا على وعي ودراية بمدى غموض العملية الإبداعية، ولكن ذلك لم يمنعهم من محاولة فهمها وتفسيرها، وهذا ما تجلى في كتاب " جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب" لابن السراج، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يأتي:

- حدد الإبداع بمعنى الاختراع؛ أي الإتيان بالجديد الذي يحتاج إلى تأمل وتدبر لفهمه. كما أن التعالق بينهما يحقق عملا إبداعيا يأسر القلوب.

- الطبع (=الموهبة) عند "ابن السراج" هو ما يجري عليه القول الشعري غالبا، فهو يزود صاحبه بقدرة كبيرة تمكنه من القول وتعينه على التأليف، فهو عنصر ثابت في العملية الإبداعية؛ إذ يساعد الشاعر على تحقيق الاستواء والكمال في الخطاب الشعري.

- القول الشعري عنده لابد أن يجمع بين الطبع والصنعة، ولكن دون تكلف، فهذا يجد موقعا في نفس المتلقي، وقبولا حسنا، فالصنعة المعتدلة تحقق التميز والتفرد للمبدع.

-إدراك ابن السراج لأهمية الحواس التي يولد الفرد وهو مزود بها، فهي تمكن المبدع إذا كانت سليمة من إدراك كل ما يحيط به، وهذا يساعده في عملية التصوير الفني؛ أي أن الشاعر لا يبتعد عن الحقيقة في تصويره، لأن كل ما تقع عليه الحاسة أوضح مما لا تقع عليه، والقريب أوضح من البعيد.

-الأسس المكتسبة حسب تصوره تصقل الموهبة الفطرية وتنميها وتقويها، وتوجهها نحو الوجهة الصحيحة، فيتجلى الحذق والمهارة في صنعة المبدع، وهذا يحقق له التميز عن غيره من المبدعين.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- أدرك ابن السراج وجود بواعث نفسية تسهم في استدعاء الشعر، وقد تجلت في الأحاسيس والمشاعر والعواطف الخفية(الرغبة= المدح/ الرهبة= الاعتذار والاستعطاف/ الطرب= الشوق والنسب/ الغضب= العتاب والوعيد والهجاء) وبذلك فهذه العواطف الداخلية حسب تصوره لا تدفع الشاعر إلى نظم الشعر فحسب، بل تعد من أسباب الإجادة والإحسان.

- حدد بواعثا زمانية ومكانية يستعين بها الشاعر على نظم الشعر، أما الزمانية فتجلت في تخير الوقت المناسب الذي من شأنه أن يسهم بشكل كبير في استدعاء الشعر، ومنه وقت السحر ؛ لأن النفس تكون مرتاحة وقليلة الانشغال، وهذا يحقق نوعا من الصفاء الذهني، ويعطي قوة لإبداع الشعر، وأما المكانية فتجلت في الطبيعة، والأماكن الخالية التي توفر الهدوء وتمنحه التركيز.

6. قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:

1- حمود ، ماجدة ، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا- دمشق، دط، 1997م.

2- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب)، الحيوان،ج6، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1967م.

3-ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له وشرحه وفهرسه صلاح الدين الهواري، وهدى عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002م.

4-ابن السراج، (محمد بن عبد الملك الشَّنْتَرِيني الأندلسي)، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب،ج1، تحقيق، وشرح ودراسة وتقديم محمد حسن قرقزان، ، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دط، 2008م

5-طه عصر محمد ، مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م

6-غنيمي هلال، محمد ، " النقد الأدبي الحديث"، دار العودة، بيروت، ط1، 1982م.

7- بن عبد الله، أحمد ، "كتاب إخوان الصفا وخلان الوفا"، ج2، ، مطبعة نخبة الأخبار ، بهنيدي بازار، دط ، 1305هـ.

8- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم)، الشعر والشعراء ، ج1. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

9-مراد، يوسف، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، ط5، 19662 م -

ثانيا: المجلات:

10-عصفور جابر (2005م).غواية التراث، مجلة العربي، العدد 62، ، وزارة الإعلام، الكويت، ط1.

الهوامش:

- جابر عصفور، غواية التراث، ط1،مجلة العربي، الكويت، وزارة الإعلام، 2005م، ص [1] 62

[2] - الجاحظ، الحيوان،ج6، ط2،تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1967م، ص 255

[3]- ينظر، محمد غنيمي هلال ، " النقد الأدبي الحديث"، ط1، بيروت، دار العودة، 1982م، ص 366.

[4]-مراد، يوسف، مبادئ علم النفس العام،القاهرة، دار المعارف،ط5، 1966، ص؛ 267.

[5]- ينظر، ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، دط، سوريا- دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1997م، ص 13

[6] -ابن السراج، (محمد بن عبد الملك الشَّنْتَرِيني الأندلسي)، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب،ج1، دط، تحقيق، وشرح ودراسة وتقديم محمد حسن قرقزان، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2008م، ص 382

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

[7] - المصدر نفسه، ج2، ص 734

[8]- م ن، ص 735

[9] -محمد طه عصر، مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2000م، ص 33

[10] - ينظر، المرجع نفسه، ص 33-34

[11]- ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي ، ص 13

[12] - ينظر، ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب،ج1، ص 296 .

[13] - ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دط، قدم له وشرحه وفهرسه صلاح الدين الهواري، وهدى عودة، بيروت-لبنان، منشورات دار ومكتبة الهلال، ب، 2002م، ص 214

[14] - ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب،ج1، ص 296

[15] - ينظر، المصدر نفسه، ص 395-396

[16] - ينظر، أحمد بن عبد الله، "كتاب إخوان الصفا وخلان الوفا"، ج2، مطبعة نخبة الأخبار ، بهنيدي بازار، 1305هـ، ص 267- 268.

[17] - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ج1، ص 287

[18] - ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب،ج1، ص 382-383

[19] - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ج1، ص 428

[20]- ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب، ج2، ص 787

[21]- المصدر نفسه، ج1، ص 301

[22] - م ن ، ص 365

[23] - م ن، ص 771

[24] - م ن، ص 370

[25] - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 338

[26] - ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب، ج1، ص 300

[27] - ابن قتيبة، " الشعر والشعراء "، ج1. دط، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، دت ص 78.

[28] - ابن رشيق، " العمدة"، ج1، ص 213

[29] - المرجع نفسه، ص 342

[30] - ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب ، ص 365

[31]- المصدر نفسه، والصفحة نفسها

[32]- م ن، 366

[33] - م ن، ص ن

[34] - ابن رشيق، " العمدة"، ج1، ص 340

[35] - ابن السراج، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب ، ج1، ص 366

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)